

# **القيم الأخلاقية والتربوية في فلسفة ( مسكويه )**

أ. د / فتحي عبد الحميد صديق حجازي  
الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة  
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية



### المبحث الأول

(مسكويه) بين مادحيه وقادحيه

ويشتمل على منصرين

الأول : التعريف ( بمسكويه ) وملامح عصره .

الثاني : ( مسكويه ) بين مادحيه وقادحيه .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد :

سنعرض في هذه الدراسة للقيم الأخلاقية والتربوية في فلسفة (مسكويه) والذي يعد من أحد فلاسفة المسلمين الذين عتوا عطية بالغة بالقيم الأخلاقية والتربوية والفلسفة الإنسانية فجاءت مذهبهم فيها غنية بالأصالة ، ومن بين هؤلاء الفلاسفة مسكويه فقد اشتهر ومن على شاكلته من فلاسفة المسلمين بأنهم (فلاسفة أخلاقيون) ، وقد اهتم بالتوفيق بين العديد من آراء الفلاسفة الإغريق ليكون منها نظاماً واحداً منسجماً من ناحية ، وبالتوفيق بين الدين والفلسفة - كما أكد ذلك أستاذنا الدكتور محمد يوسف موسى - من ناحية أخرى ، وله بجانب هذا لزعمة اجتماعية ، وأخرى صليية ، وجهد غير يسير في علاج ما أراد علاجه من مسائل في علم الأخلاق .

ومسكويه المعلم الثالث في علم الأخلاق ، وغير نموذج يمثل الفلسفة الخلقية ، ويرجع ذلك إلى أنه قد على عطية خاصة وفائقة بالبحث الخلقى وإن للصرف في بادئ الأمر لدراسة الطب والكيمياء والفلسفة ، وألف في التاريخ ، إلا أنه على في سائر ما صنف وألف بدراسة الأخلاق .

وهذا ما دفعني لدراسة فلسفة هذا الفيلسوف فقد ارتبط اسمه بتاريخ الفكر الأخلاقى في الإسلام ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يمكن لتاريخ لهذا الفكر بأي حال من الأحوال دون أن يذكر مسكويه ، وأصبح علماً من علماء ورواد الفلسفة الأخلاقية في الإسلام إن لم يكن أبرزهم ، فقد تغرغ للبحث في الأخلاق وتعمق في مجالها لذا سأعلى في هذه الدراسة ببيان المباحث الآتية :

المبحث الأول : التعريف بمسكويه وعصره .

المبحث الثاني : مذهبه ومناهجه في الفلسفة الأخلاقية والتربوية .

المبحث الثالث : نفس المنهج الفلسفى ( الأخلاقى والتربوى ) لدى مسكويه .

المبحث الرابع : منابع الفكر الفلسفى ( الأخلاقى والتربوى ) لدى مسكويه .

المبحث الخامس : القيم الأخلاقية في فلسفة مسكويه .

المبحث السادس : القيم التربوية في فلسفة مسكويه .

ولى مع كل مبحث من هذه المباحث وقفة .

وهاكم للتفصيل بعد هذا الإجمال وبإذن التوفيق .

### التعريف بمسكويه :

هناك إجماع من المصادر <sup>(١)</sup> على اسمه وكنيته فيسمى بـ (أحمد بن محمد بن يعقوب) ، ويكنى بأبي علي الخازن ، ويعرف : بأنه صاحب التجارب أو تجارب الأمم ، (لا أن هناك اختلافاً في لقبه هل هو مسكويه أو ابن مسكويه ، فأغلب المصادر للتسمية هو مسكويه واليهض ابن مسكويه والأرجح أنه يلقب بمسكويه دون ابن مسكويه <sup>(٢)</sup> لمبنيين :

أولهما : أن المصادر أغلبها يذكرها بمسكويه وبعضها يذكره بابن مسكويه .

وثانيهما : أن أغلب من قلل بمسكويه فقط كانوا من العلماء الذين عاشوا في زمنه وكثروا من رفائه وأصحابه ويستمعون به وينامونه ويرأسونه ، وخلق بنا أن نستلهم لأنهم خلطاء الرجل وأدري الناس باسمه ولقبه وكنيته .

ومسكويه من علماء القرن الرابع الهجري ، وعاش هذا القرن وبعضاً من القرن الخامس الهجري ، وتوفي في الربع الأول من القرن الخامس الهجري ، وعاش حياته وعاصر الدولة البويهية حيث بدأت سنة ٣٢٠هـ وانتهت سنة ٤٤٧هـ ونشأ في كنفها بين قوزراء والأمراء ، وما زال يتنقل من خدمة وزير إلى خدمة ملك أو أمير في دولة بني بويه حتى انتهت حياته بحياء الأسرة البويهية وكان لها أكبر الأثر في حياته العلمية والفكرية وفي مركزه الأدبي ، وعاش أبرز العلماء وأنبغ الكتّاب والأدباء وأرفع الفلاسفة والشعراء قديراً وصديقاً وكان رفيق الأمراء والملوك وظل معهم طويلاً حياته صديقاً وفياً وخازناً أميناً ، وكتائباً رفيع الجانب يمتعهم بكتائبه ، ومفكراً يعطوهم من عقله وفكره وأكثر مما يطلونه من أيديهم ، وكان يناديهم في مجالس أسماهم ، ويمدحهم بمشورته في عصرهم ويمرهم ، ويثير لهم الطريق إذ أظلم ما حولهم ، ويسير رسولهم إلى الخلفاء والأمراء ، وهو الخازن الأمين لهم في حله ، والمخلص الأمين لهم في ترحاله .

(١) راجع (أخبار العلماء بأخبار الحكماء) ص ٢١٢ ، معجم الأدباء ليعقوت ج ٥ ص ٥ ، ونزهة الأرواح وروضة الأكرام في تاريخ الحكماء والفلاسفة

لشهرورزي ج ٢ ص ٢٩ ، وعيون الأدباء ج ٦ ص ٢٤٦ وغيرها كثير .

(٢) فهرست لابن النديم ص ٨٢ ، ومن المؤرخين أبو حيان ، والنسائي والفولاذمي ، وابن أبي سبيعة والقطبي رجحوا هذا الرأي .

١. د. قتيبي عبد الحميد صديق حجازي

وبالجملة فإن عصره وما دار فيه كان له الأكثر كل الأكثر في تفكيره الأخلاقي ، فكتبه في هذا الصدد ما هي إلا برنامج إصلاح للفرد في ذلك العصر ولإتقان المجتمع بأسره (١) .

وعن حياته وطفولته وما مر به من أطوار فإن حياته الأولى (الطفولة) تنبئ عن شخصيته كانت ترتع وراء الشهوات واللذات ، وحياة العيب واللغو ساعده على ذلك أقران السوء وأعراف الفساد ، إلى أن اجتاز هذه المرحلة العابثة للفاسدة ووفق في محاسبة نفسه واستطاع أن يقطعها عما اعتادته من اللذائذ الفانية ولم يفتن إلى ذلك إلا في نضجه وأخذ يكفر عما فرط منه بكتابته في الأخلاق ورسعه مناهجها وتوحيد معالمها وقواعدها وأخذ يوضح سبل الفضائل التي ضل عنها من قبل .

وفي هذا يقول مسكويه في كتابه (تهذيب الأخلاق ..... ) وليعلم الناظر في هذا الكتاب أنني خاصة قد تدرجت إلى فطام نفسي بعد الكبر واستحكام العادة وجاهدتها جهادا عظيماً ، ورضيت لك أيها الفاحص عن الفضائل والطالب للأدب الحقيقي بما رضيت لنفسي بل تجاوزت في النصيحة لك ، إلى أن أشرت عليك بما فلتني في ابتداء أمري لتتركه أنت ، ودللته على طريق النجاة قبل أن تنته في مغاور الضلالة ، وقيمت لك السفينة قبل أن تغرق في بحور المهالك ، استسلموا للحق وتابوا بالأنب الحقيقي لا المزور وغدوا للحكمة البالغة وانتهجوا الصراط المستقيم (٢) .

ومن ثم لم تكن فلسفة الأخلاق لدى مسكويه موضوع بحث نظري مجرد فحسب بل كانت خبرة علمية وسلوكاً حياتياً .

#### مكائيل مسكويه في علم الأخلاق :

لقد بالغ فيه المادحون وأثكروا عليه في المكائيل الأخلاقية نظراً لنجاحه في حياته العلمية والعملية ومقابلة أخلاقه التي هي قوة مرصبة يردد لها الأبناء

(١) (راجع (معجم الأبناء) جـ ٥ ص ٥ ، وروضات الجلات جـ ١ ص ٢٥٧ ، وظهر الإسلام ، د. أحمد أمين جـ ١ ص ٩٦ ، وفلسفة الأخلاق د. محمد يوسف موسى ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢) (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) ص ٥٠ .

المسلكين الذين لبثوا بالطمع في هذابا الملوك والوزراء وللقوا التودد والتزلف إلى لطلب لجاه والمال .

وكان من المتعلمين عليه ابن سينا والفارابي ، ويرى كثير من الباحثين أن لبا حيان كان متحلياً على مسكويه لأنه كان شديد الحق على المشاهير والناهين من أهل زمانه وخاصة من اتصلوا بالملوك والأمراء ويرون أنه ينبغي أن يؤخذ بحذر كلام لبا حيان لأنه لم يسم واحد منهم من هجومه وإظهار مثالبه حيث عرف عنه سخط للسان وقلة الرضا واتخاذ القلب ديناً (١) ، وقد رجح الدكتور زكي مبارك هذا التحليل .

ومن المناهون الثمالي والفارابي والفلاسفي وكان من جملة ما مدحوه به أنه كان في قذوة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشعر وكان من أعيان الزمان وتخصصه بسانر الأكابر ، ويقول القفطي : (كان من كبار فضلاء العجم ، وأجلاء فارس له مشاركة حسنة في العلوم الأدبية .... وله مناظرات ومحاضرات وتصنيفات في العلوم) وغيره قال : للحكيم الماهر والأساتذة الكبار ، ومن أعيان العلماء وأركان الحكماء ، صاحب المراقب الجليلة والدرجات الزهية والأخلاق الحميدة والأقوال المستبدة (٢) ، ويقول د. أحمد أمين : هو من الفلاسفة الإسلاميين الذين لهم في علم الأخلاق مكانة سامية ومقام مرموق (٣) .

ويذكر الدكتور محمد يوسف موسى : أن مسكويه بالرغم من تصنيفاته للكثيرة في العلوم المختلفة وفروع الفلسفة إلا أنه تفرغ على الأخلاق من بينها

- (١) راجع (تاريخ الفلسفة في الإسلام) ترجمة أبي ريده ص ٢٢٧ - ٢٢٨ (النهضة المصرية والفكر الفكري) د. زكي مبارك ج ٢ ص ١٧٨ . (ولين مسكويه) د. عزت عبد العزيز ص ١١٥ - ١٤٢ فقد نفى عنه كافة التهم التي وجهها إليه الفارابي .
- (٢) راجع (نزهة الأرواح) ج ٢ ص ٧٩ ، و(أخبار الحكماء) ص ٢١٧ ، وروضات الجنان ص ٢٤٥ ، والأمثال والمؤانسة ج ١ ص ٣٦ .
- (٣) ظهر الإسلام ج ٢ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .



بخلاف غيره من الفلاسفة كالفارابي وابن سينا فإن كلامهم في الأخلاق جاء في سبيل عرض للمذهب الفلسفي العام ولهذا كانت شهرتهم بغير الأخلاق (١) .

ويقول د. فتحي الزعبي : والحقيقة أن هذا الكلام لا يمكن قبوله على علته فمن الممكن قول أسبقية مسكويه في ميدان الأخلاق للفلسفة أو ما يسمى بالجانب العلمي من الفلسفة لأن الذين كتبوا قبله في الأخلاق بحثوها على أنها حكم وأمثال وعالجوها داخل إطار الأدب الخلقي أو الحكمة الأخلاقية لكن مسكويه قام بفلسفة الأخلاق بعد أن كانت حكماً ونقل الأخلاق نقلة جديدة بفلسفتها ، وإذا كان الجاحظ مثلاً قد سبقه في هذا المجال فإن مزية مسكويه تكمن في أنه وضع للأخلاق نظاماً شاملاً وفلسفة كلية لما الجاحظ وأمثاله لمقف هذا ونقف هناك من غير ترتيب ولا ترتيب (٢) .

ويذكر الدكتور / صالح عضيمة : لا ننكر أن علم الأخلاق قد رسعت ملامحه وتوضحت شخصيته ، وتميزت هويته ، بفضل هذا المفكر الذي وضع كتابه (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) فكان في أسلوبه فريداً ، وفي مناهة فريداً (٣) .

ويرى الدكتور / ماجد فخري أن مسكويه أعظم علم من أعلام الفكر الخلقي في مرحلته التي تميزت بالجانب الفلسفي ويذكر أنه يجب اعتبار مسكويه أمام الفلاسفة الخلقيين في الإسلام ، ليس من حيث أثره التاريخي وحسب بل من حيث المحتوى الأصلي لفلسفته الخلقية كذلك ، ثم أشار إلى نوره للرائد وأثره البالغ في تطور الفلسفة الخلقية في الإسلام (٤) .

(١) (تاريخ الأخلاق) د. محمد يوسف موسى ص ١٨٦ مطابع دار الكتاب العربي ط ٣ سنة ١٩٥٣ م .

(٢) (فلسفة الأخلاق عند مسكويه) د. فتحي الزعبي ص ٢٢ ، ٢٣ ، (ظهر الإسلام) د. أحمد أمين ج ٢ ص ١٧٦ - ١٧٨ - ١٨٠ - ١٨٩ لمزيد من التفصيل .

(٣) مقدمة الفوز الأصغر ص ١ نقلاً من فلسفة الأخلاق عند مسكويه د. فتحي الزعبي ص ٢٣ .

(٤) (مراجع السابق ص ٢٥ ، (معالم الفكر العربي في العصر قوسيما) كمال يزجي ص ٢٩٢ .

واعتبره كمال يازجي رافد للفلسفة الخلفية ومن توليع المفكرين في عصره (١).

وقد وصفه كراي في بأنه مؤلف مبدع ، ونو لذهن فلسفي وعده من أهم علماء الأخلاق في الإسلام ، كما وصفه في موضع آخر بأنه من قمة مفكري الإسلام في الأخلاق .

كما أثنى عليه دى يور حينما ذكر أن مسكويه قد خلف مذهباً فلسفياً في الأخلاق لا يزال له شأن في الشرق إلى يومنا هذا (٢) .

وعن نجاحه الفكري في المجال الأخلاقي وسائر العلوم الإنسانية الأخرى ، فإن مسكويه العديد من المؤلفات في شتى العلوم الإنسانية ولاسيما في المجال الفلسفي والتاريخي والطبي والأدبي والميدان الأخلاقي ، وهذه المصنفات ما بين مخطوطة ومطبوعة ، وما بين الكتب والمقالات والرسائل ، ويشهد مانحوه بأنه كان يتسم بتقافة واسعة ، وفكر ثاقب ، وغزارة علم وإطلاع ، وعقل نادر ، فبرز وذاع صيته في علوم عصره بل وفاق غيره في العديد منها ، وما يعيننا في هذا المقام وفي هذه الدراسة أبرز الجوانب التربوية وفلسفته الأخلاقية ، وكان المجال الأخلاقي والمناخ بهذا العلم أساسياً ضمن مصنفاته بل يعد محور تفكيره وجوهره ، وكان الميدان الأخلاقي يطلب على مصنفاته الفلسفية والأدبية والتاريخية والطبية وغيرها .

وفي هذا الصدد يحدثنا د. فتحي الزغبى فيقول : إن الأخلاق تطلمح على حدود ما خصص لها مسكويه من مؤلفات فتلقى ظلها على معظم كتبه الأخرى ، كما سطرى هذا مثلاً في كتابه (تجارب الأمم) فرغم أنه كتاب تاريخي إلا أن هدفه وبغية مسكويه منه كانت أخلاقية حيث يهدف إلى الاعتبار بحوادث التاريخ واستنباط العبرة منها .

كما لمس كذلك الأمر في كتابه (الفرق الأصغر) والكتاب يهتم ببيان أسرار الديانات وحقائق النفوس البشرية ، وخصصه للجانب النظري من الفلسفة ومع ذلك عني فيه مسكويه بالجانب الأخلاقي كما تحدث في مبحث السعادة .

(١) (مفكرو الإسلام) كراي في ترجمة عادل زعير جـ ١ ص ١٥ .

(٢) (تاريخ لفلسفة في الإسلام) ص ٢٣٩ ، ٢٤٣ .

## ١ د يحيى عبد الحميد منيف جازي

وسع إحصاء ما ألف وصنف خمسة عشر مخطوطاً ، وتسعة كتب مطبوعة ، وتسعة عشر كتاب مطبوعة ، أي أن جملة ما ألفه تبلغ ثلاثاً وأربعين مصنف ما بين مقالة ورسالة وكتاب (١)

ويمكننا جلاء مساهماته في علم الأخلاق وميدانه على النحو التالي

أولاً (تهذيب لأخلاق ونظير الأعراق) وهو أهمها وأشهرها على الإطلاق ، بل إنه يعد المصدر لأوب والمرجع الأساسي في تصوير فلسفة الأخلاق ، ومن أجل ذلك فقد طبع عدة مرات في الشرق ، وأكثرها في القاهرة ، وهو كتاب دسع الفصول ومشهور ومداول في أيدي الناس قديماً وحديثاً وطبعت منه العديد من الطباعات نكتها بلا تحقيق علمي محمد جني كان للدكتور البسيط في رريق (٢) فكتب المتيق في تحفيقه ونشره في أول طبعة مطبعة تحقيق علمي بالاستناد إلى ما حفظ من مخطوطات ومبدلة بالهوامش والتطبيقات وأطلق عليه اسم (تهذيب الأخلاق) دون إضافة وتطهير الأعراق ، بل بعض المصادر تشير إليه على أنه كتاب (النور الأكبر) و(النور الكبير) وقد رجح البعض كتاب التهذيب بأنه (النور الأكبر) (٣) إلا أنه هذا الرأي لا يعتد به ، وقد كن من الممكن قبوله ، ولولا أن هناك من الدلائل ما يؤكد رفضه ولا يمكن تجرره أو نفعها منها وأهمها :

أولاً لا يوجد في تهذيب لأخلاق أي إهداء أو أدنى إشارة تدل على أنه هو كتاب النور الأكبر ، ولو كان هو للكتاب الموعود به في النور الأصغر بما تأخر المصنف عن التصريح بذلك بل كن يجب أن يعلن ذلك ويصرح به

ثانياً ذكر فيقولنا في كتابه الروايات : أن مسكويه صنف في علوم الأوائل كثير ، وأن به كتاب سماه (المهارة في تهذيب الأخلاق) وبعد أن

(١) (فلسفة الأخلاق عند مسكويه) د يحيى الزعبي ص ٢٧ ، ٢٨ ، وقد نقل د عريت عبد العزيز الذي قدم معتمد على المصادر القديمة والحديثة مسكويه بهذا الإحصاء الشامل لمؤلفاته في أبوابها المختلفة انظر (بين مسكويه) ص ١٢٥ - ١٤٢ د عريت عبد العزيز ، لمزيد من الاستفادة في هذا الشأن والمرجع للمذكور ملك .

(٢) سنة ١٩٦٦ م .

(٣) (بين مسكويه) د. عبد العزيز ص ١٤٣ ، ١٢٥ .

ننقل إلى كتاب (الفور الأصغر) قال : وقد يحق فيه الأمر إلى كتاب آخر  
سماه بالفور الأكبر في مقابلة هذا الكتاب.

ثالثاً : ذكر أبو سليمان المنطقي في كتابه صوب الحكمة عن مسكويه وهو  
أعرف الناس به ، أن له تصنيفات كثيرة مثل : الفورين الكبير والصغير  
في علم الأولاد وكتاب ترتيب الصعادات ، ومنازل العلوم ، وكتاب تهذيب  
الأخلاق .

ولو كان كتاب التهذيب هو الفور الأكبر لما ذكر عنوان الكتاب مرتين ،  
وم كان يشق على نفسه بالممارسة إلى النوع في مثل هذا الخطأ .

ومن خلال كلام أبي سليمان للمنطقي ، وللخوارزمي يكون الفور الأكبر  
بمئة ستة وستة وثم كتاب الفور الأصغر وليس هو كتاب التهذيب ( )

أهم محتويات كتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق)

إنه حسب تحقيق الكتاب كما حققه د.سطنطين دريك فإننا يمكننا إبراز  
محتويات الكتاب وما اشتمل عليه من مقالات ومرسوعات في مختلف تصنيفها  
الأخلاق وذلك على النحو التالي:

يشتمل الكتاب ويحتوي على ست مقالات طوال :

في المقالة الأولى . على مسكويه ببرنامج مبادئ الأخلاق النفس وقواها ، الخير  
والسعادة ، الفضائل والذلل .

وفي المقالة الثانية : أهم ببيان (الحق وتهذيبه والكمال الإنساني وسيله) .

وفي المقالة الثالثة . عرض الخير وأقسامه ، والسعادة ومرئتها .

وفي المقالة الرابعة . لبرر ما يتعلق (بالعدالة)

وفي المقالة الخامسة . وضح (الصحة والصداقة)

وفي المقالة السادسة : فقد علاج فيها صحة النفس حفظها وردها .

(١) رجع تفصيل ذلك في مقسمة د. صالح عسيرة لكتاب (الفور الأصغر) من

١٢ ، ١٣ نقلاً من (فلسفة الأخلاق عند مسكويه) د. فتحي الزعبي ص ٣٠

٣٢ .

أحمد دفتحي عبد الحميد مسبق حجازي

أما لطبعات نديمة تجس الكتاب مؤلف من سبع مقالات وذلك بتقسيم المقالة الأخيرة إلى مقالاتين

المصاحبة : علاج لأعراض النفس .

والمصاحبة : الصحة على النفس .

وقد نشر العديد من العلماء والمؤرخين إلى أن كتاب التهذيب يعد من أشهر الكتب العربية والأخلاقية وبلغها ثراً ، بن لغة أحرر صور للفلسفة الأخلاقية لدى مسكويه .

الإمام محمد عبده أوصى بتدريسه في الأزهر إلى جانب كتاب الإحياء للإمام العراقي . وقد كان يحضر الخاصة من تلاميذه في بيته ويشرح لهم كتاب التهذيب (١) .

ويرى الدكتور / توفيق الطويل أن كتاب التهذيب بمسكويه يعد أقدس عملة في مجال الأخلاق (٢) .

ويذكر الدكتور / حسن شعاعنة بعضاً في بحثه عن هذا الكتاب أن أهميته ترجع إلى تفويم الأخلاق وفلسوفه على أساس دراسة علمية سليمة وفق المستوى الذي وصلت إليه العلوم آنذاك ، وأنهى إلى أنه يمثل العصر الذي وجد فيه لصديق تمثيل ويشهد باطلاع صنف وصديق بمؤلفه (٣) .

كما ألقى الدكتور / صالح عزيمة أن علم الأخلاق قد وسعت ملامحه وتوضحت شخصيته ، وتميزت هويته ، بعد أن وضع مسكويه كتاب التهذيب فكراً في أسلوبه فريداً ، وهي منحاه فريد ، حيث مزج فيه بين بدأت الفكر وأدات الفكر لمخلق مراجعاً تقبله الأنصار كلها ، وتسميته الحقور إلى تباينت

(١) (زعماء لإصلاح في العصر الحديث) د أحمد أمين ص ٢٩٣

(٢) (فلسفة الأخلاق بذاتها وتطورها) ص ١٥٩

(٣) (تهذيب لأخلاق وتطهير الأعراق بمسكويه) ص ٥٧ ، ٥٨ سلسلة تراث الإنسانية .

تقديراتها ، وراجح فيه بين التحليل والتسليم ، فكيف للعقل حجة ، وللإيمان  
محجة (١)

كما يوضح الدكتور / كمال الخيازي أن مسكويه صرّف همه إلى دراسة  
الأخلاق ، وأنشج فيه إنتاجاً قيمياً ، حيث تركّز في طمعة لأخلاق كتبها فريداً هو  
يهديب الأخلاق ، عالّج فيه الموضوع من ناحيتيه النظرية والعملية وجمع فيه بين  
الأسول اليونانية والمبادئ الإسلامية ، ولغزغ مافته في سياق علمي منسجم (٢) .

ثانيها ومن مؤلفاته في علم الأخلاق (كتاب السعادة أو ترتيب المصالحات) .

ثالثا جويدال خرد وهي كلمة فارسية معناها العقل الأولي ، وهو اسم  
كتاب ألّفه الحكماء للقدماء بالفارسية معرو إلى لملك الأسطوري هو  
شكك أو شهيدج ثاني ملوك الأسرة الفارسية الأولى (٣)

رابعاً: القور الأصغر .

خامساً : تجارب الأمم ومخالف الهمم .

سادساً : الهوامل والشوامل بالاشترائك مع أبي حنبل التوحيد

سابعاً : رسالتان لمسكويه هم في اللغات والألام ومقالة في النفس والعقل .

العصر الثاني : مسكويه بين مادحيه وقادحيه .

بعد (مسكويه) علّم من رواد الفكر الفلسفي الأخلاقي في الإسلام ، من دم  
يكز أشهرهم أو من أبرزهم على الإطلاق ، وقد نال شهرته وديوعه في لوسط  
الفلسفة الإسلامية من خلال عدائته وتعمقه في مجال الأخلاق ونقزغه للبحث  
فيها دون ملل فروع الفلسفة ، وعلى الرغم من إجماع العلماء وقابحئين على  
شهرة وديوع صيته في المبدؤ الأخلاقي إلا أنهم ذهبوا في نقد والحكم عليه  
وعلى فلسفته الأخلاقية .

(١) مقدمة تحقيقية لكتاب مسكويه (القور الأصغر) ص ١٠ - ١١ نقلاً من  
(فلسفة الأخلاق عند مسكويه) د قنحي أحمد الزغبى ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) (معالم الفكر العربي في العصر الوسيط) ص ٢٩١ ، نقلاً من المرجع  
فلسفب الذكر .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول ص ٢٧٨

فمنهم من بالغ في منحه وبموجبها ، ووصفه بالريادة والقيادة في علم الأخلاق عند المسلمين ومن رواد الباحثين العرب في تاريخ الفكر الأخلاقي ( ١ ) ، كما أطلق عليه بعضهم المصطلح الثالث ( ٢ ) متطابقاً مع (الفارابي) المصطلح الثاني ، على متابعتهم لمطامير الأول معاً (لرسطو)

ومنهم من بالغ في انحه والنبيل منه ، والاستهانة به ، ورموه بأمور شنيعة تدحض من مكانته النبوية ، ويدعون أنه كان مضطرب التفكير ، وأن فلسفته تعطل عن الأسئلة والابتكارات والإبداع ، وليس له إلا فصل الاقتباس والتقليد ، حيث رموه بأنه هو العيسوي الوراق ، أو النسخ لعسفة رسطو في الأخلاق ، كما شنوا عليه بأقوال تخرجه عن العقيدة الإسلامية وأحكامها ومبادئ العقل والطمأنينة إليه ولم يتأثر فلسفته الأخلاقية بتعاليم الدين الإسلامي ، وليس عنده فكرة القطب أو الثوب في عالم آخر ، وأن المعادة لديه معادة دينية لا تتعلق بحكم الحياء الأخرى وهذه من وجهة نظري الشاذة مقراء ، كما سأجني ذلك بعد .

والذين بالغوا في الثناء عليه قد يختلفوا في الوجه الذي يمنحونه بسببه ، حيث ذهب بعضهم إلى أنه كان في دراسته لعلم الأخلاق شديد الانحياز بالدين الإسلامي بتقيد بأحكامه ، ويكره بفرائضه وأنه كان يحرص دائماً على التوفيق بين الفلسفة والدين في مجال الأخلاق ( ٣ ) .

يذهب بعضهم : إلى أن مسكويه كان في دراسته للأخلاق فيلسوفاً عملياً يعتمد على العقل اعتماداً كلياً ، ولا صلة به مطلقاً بالدين ، حيث علاج الجوانب الأخلاقية من الوجهة الفلسفية المجردة من الناحية الدينية ، وأغفل لتفريجه الإسلامية ولم يحفل بها في هذا الميدان ، وبذلك فإنه من الخطأ لقول : أن مسكويه حارب التوفيق بين الفلسفة والدين في مجال الأخلاق

وفي هذا الصدد بحثنا د. ركني مبارك فيقول (٤) مسكويه لم يلف في دراسة لأخلاق عند الحدود الدينية التي كان يكتبها بها الصوفية والماسكون

(١) (الأخلاق) د. أحمد أمين ص ١٣٧ . دار الكتاب العربي بيروت .

(٢) (أين مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها) د. عبد العزيز عرت ص ٢١٧ ط ١ مصطفى الحلبي سنة ١٩٤٦ م .

(٣) (ظهر الإسلام) د. أحمد أمين ج ٢ ص ١٧٨ - ١٨٠ دار الكتاب العربي ط ٥ سنة ١٩٦٩ م .

وغيرهم ، بل سائر العقول وصاحبه ، وليس به وإلمام إليه ، ثم تتخذ أساساً للأخلاق ، فصار العقل عنده نظير الوحي الإلهي في عوالمه المكتبتين - وما راق يدور حول المعولات في نظام الملوك حتى صدر الخلق المعقول أحب إليه ولقرب إلى نفسه من الخلق المعقول ، فهو لا يفعل الخير لأنه أمر به ، ولا يجتنب الشر لأنه يهي عنه ، وإنما يفعل ويترك وفقاً لما تطمأن إليه عقله ، وأمر به وجدانه ، في حدود المنع والمنطق والذوق (١)

وبقول ٣٠٠ عبد العزيز عرت أنه المفكر الإسلامي الأول في ميدان الأخلاق ولهذا ينبغي (بالمعنى الثالث) ، لأن المعلم الثاني (الفارابي) لم يشمل تعليمه كل خروج فلسفة المعلم الأول - لمسطور ، وإنما اختصر بالنبوغ في الناحية النظرية ، وبعث الناحية العملية مهمة إلى ظهور رجلها الأول مسكويه (٢) وينتهي في دراسته عن تفكير مسكويه الأخلاقي إلى أنه كان بعيداً عن الدين ، حيث لم تتأثر الأخلاق عنده بتعاليم الدين الإسلامي ، وانحصر على حكمة ذلك المسحة للفلسفة المعاصرة (٣)

ويستدل على ذلك بعدة أمور (٤) لذكر منها مثلاً قوله : إن فكرة الجراء عند مسكويه فكرة فلسفية تتعلق بمفرصة الإنسان على نفسه وبنفسه من العقاب الداخلي وهو نائب الصغير أو الحرمان العظمي من بعض المبادئ لتقوية النفس ، وجعلها تعود طريق الفصيلة ، ولهذا لا تجد عند مسكويه فكرة العقاب أو الثواب في عالم آخر غير عالمنا ، وإن الذي يحاسب الإنسان ليس بكائن لرفي منه بهذه المنوبة والعقاب ، ومسكويه في حد بعيد عن المدرعات النبوية كل الابتعاد وبناء على ذلك فإن السعادة في نظر د. عبد العزيز عزت معادلة ذهنية لا تتعلق بعالم آخر غير عالم ولا تشهد لحياة أخرى لرفي منها (٥)

(١) (النشر الثاني في القرن الرابع) د. ركي مبارك ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٢ نشر دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٥ م .

(٢) (ابن مسكويه ...) د. عرت عبد العزيز ص ٨ .

(٣) الم. جع السابق انظر لمريد من الاستفادة ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٤) للمرجع السابق نفسه انظر الصفحات من ص ٣٤٧ - ٣٥٣ لمريد من الاستفادة .

(٥) المرجع نفسه ص ٣٥١



## ١. د. فتحي عبد الحميد سيد حيان

وهذه أقوال كاذبة ولادعاءات شائعة في حق فيسوف أخلاقي مثل مسكويه فضلاً عن أنها مجردة من أي تبيين أكاديمي يبرجدها في رحابة ريسالطة ، وتناقض للواقعة الدينية ومن ثم فليرى أحد رواد الفكر الإسلامي وهو الدكتور / فتحي محمد الرعبي - أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الشريف - الرد على هذه الدعاوى بسجل قاتلاً -

(لا يخفى كيف انتهى د. عريت إلى هذا الاتهام للتدريج لمسكويه ، ومن أين جاء به ، ولدي بطل - ظناً وهما - أنه محمداً له ، وكلامه يحبر بأن مسكويه ينكر الجراء الأخرى ، ولا يشير إلى الثواب والعقاب في الآخرة ولكن يبين له مدى مبالغة د. عريت في حق مسكويه أو بمعنى أصح مدى تحجبه على مسكويه لأبد من الإشارة إلى ما يلي

أولاً لقد بيّن الدكتور كلامه على بعض النصوص التي وريت في كتابه (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) (١) ومن يتأمل هذه النصوص يلحظ أن مسكويه لا يقصد بأقوال هذه إنكار الجراء الأخرى ولا يهدد مطلقاً إلى ما انتهى إليه د. عريت وأمثاله وهو الدكتور - أحمد صبحي - الذي تولى ترجمة نظرد عريت حيث يقول : (وبالرغم من إشارته إلى أهمية الشريعة في الأخلاق فإن فلسفته الخسبة بعيدة تمام عن روح الدين - الإسلامي - فلا إشارة فيها إلى عقوبة إلهية ولا أهمية للصلاب الأخرى في الأخلاق) (٢).

وأيضاً يدعو مسكويه من يريد المحافظة على صحة نفسه أن يعاقب نفسه مادياً بعقوبات يفرضها على نفسه ، ونفسه بأن يقوم بترويض نفسه وتوحيدها ، وهذا لون من أقوال التهذيب لأخلاقه يعرب بتكليف للعلاج بالصعد ، وهو لون مألوف في المجال الفلسفي أو للمجال الصوفي ، بدليل أن الغزالي قد أشار إلى هذا اللون من العلاج في كتابه لأحياء صمد بجله تكسب لطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياسة النفس (٣) ،

(١) المرجع المذكور ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) (الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي) - أحمد صبحي ص ٣١٣ دار المعارف ١٩٦٩ م .

(٣) انظر إلى النص من أول (وكم أن اللغة ) كتاب الأحياء ج ٣ ص ٦١ طبعة دار المعرفة بيروت ،

ثانيها : ومن يدل على ذلك ان مسكويه قد نص على الجراء : لأخوه ي من التعميم وثواب في الجنة ، والجحيم والعقاب في النار في مواضع كثيرة من كتابه (تهذيب الأخلاق .....).

نظر إليه في معرض حديثه عن فصل علم الأخلاق ذكر في هذا العلم أو هذه الصنعة أي صناعة الأخلاق على الفصل الصناعات كلها ، لأن الصنعة لتي تعني بتجويد العمل الإنسان حتى تصدر عنه لفعاله كلها تامة كاملة بحسب جوهره ورفعته عن رتبة الأحسن التي يستحق بها العقاب من الله (فإن) والقرار في العذاب الأليم (١).

ويذكر أيضاً في معرض حديثه عن خير الإنسان ومعادته وفي الضرر تشعبه عما عرّض له من تركية نفسه لتي تنتهي به إلى الملك الرعيع والسرور الحقيقي ويوصله إلى فترة العير لتي قال الله تعالى (فَلَا تَتَمَنَّأَ أَنْ تُبْغِيَ نَفْسُ لَكَ شَيْئاً مِمَّا يَبْغِي النَّاسُ) (٢) ويصله إلى جوار رب العالمين في التعميم المقدم ، ولذلك لتي لم تره عن ولا سمعتها أن ولا خطرت على قلب بشر (٣).

كما يبين مسكويه أيضاً وهو بمصدر حديثه عن الموت أن جوهر النفس إنما يستند بالحواس والأجسام كما لا ما ، فلا كمل بها ثم يخلص منها صلب إلى عالمه القريب القريب إلى بارئه ومشتبه تعالى وتغيب ، وهذا الكمال الذي يستكبه بهذا العالم الحسني قد بيده وأمره ذلك الطريق إليه بما سلك في هذا الباب ، وأنه السعادة القصوى للإنسان وأعلم ذلك صده ، الذي هو الشقاء الأقصى له ، وبها مع ذلك مراتب المعادة ومراحل الأبرار ودرجاتهم من رضوان الله (فإن) وجننه لتي هي دار القرار ، كما يبد لك مراتب أسدائهم من سطوة ودرجاتهم من النار لتي هي للهوية بلا قرار لصال الله حصص المعونة على ما يقرب منه إنه جود كريم رؤوف رحيم (٤).

(١) راجع (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) لابن مسكويه من ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) سورة السجدة : من الآية (١٧) .

(٣) للمرجع السابق من ١٣ ، ١٤ .

(٤) (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) لمسكويه من ٢١٦ ، ٢١٧ .

أبي  
د. فتحي عبد الحميد صديق حجازي

وهذه التصوص وغيرها كثيرة في اتجاهه الفكري يؤكد في صراحة على  
'فيه إيمانه بالآخرة الأخرى في فلسفته الأخلاقية ولم يحفه أو يكره كما ادعى  
د. عزت د. حمد صبحي ، ونص على أنه هناك سعادة أخروية في عالم آخر  
بجانب السعادة الدنيوية في عالمنا ( ) ، وإن كان في بعض تصوصه ما يؤكد  
مثلاً - أنه ابتعد فيها عن الدين حيث عالج مسائلها معالجة فلسفية محضة وأغفل  
فيها جانب الدين فإنه يرجح أني تأثره ببعض الفلاسفة اليونانيين وبعض فلاسفة  
الغرب واستقاء منابع فلسفته ومصادره من مصادر شتى على نحو ما سنلجس  
ذلك في معرض حديث عن مصادر فلسفته من هذه الدراسة - حيث المصائر  
التي رجع إليها مسكويه والمنايع التي استقى منها فلسفته الأخلاقية كثيرة  
ومتقنة منها ما كان يونانياً ، ومنها ما كان فارسياً ، ومنها ما كان إسلامياً ،  
ومسيحيين مدى متابعة مسكويه وتأثره بهذه المصادر ونقله لها ، ونقله عنها نقلاً  
حرفياً ، ومدى تصرفه في بعض أو كثير منها ومدى محاولته التوفيق بين هذه  
المصادر أو ترجيحها بالشريعة الإسلامية .

( ١ ) ( فلسفه لأخلاق عند مسكويه ) د. فتحي أحمد الرغبي في مقدمة كتابه  
بتصرفه ، ط ١٩٩٨ م .



البحث الثاني  
مذهب (مسكويه) ومنهجه  
في  
الفلسفة الخلقية والتربوية



## المبحث الثاني

### مذهب (مسكويه) ومنهجه في الفلسفة الأخلاقية والتربوية

إن المتأمل فيما سلف من نتاج فكري في المجال الأخلاقي سيلمس بجلاء أبرز الجوانب الفلسفية الأخلاقية لدى مسكويه حيث اهتم في سائر ما ألف وصنف بالمجال الأخلاقي وكانت صورة مجسدة لم تأثر به في حياته ، وما كفى بدور في بيئته وعصره وحياته الخاصة ، كما تمثل مذهب ومنهج فلسفياً في فلسفة الأخلاق استلهمه من ثقافات مختلفة (يونانية وفارسية) ثم جمع بينها وبين مبادئ الشريعة الإسلامية وأحكامها على سحر ما سطره إليه في هذه الدراسة

وكان يهدف من وراء ذلك إلى إرشاد الناشئين إلى كرم الأخلاق ، وتبيل المرأيا وحلهم على كرم للفعال ، وصالح لأعمال حتى لا يصيروا كما قيل هو - في بعض مراحل حياته - ولا يصيروا قصير في ما يساعده هو فيه ، واتخذ إلى ذلك سبيل الإرشاد بالمثل والإنعاج بالنذير ، وبدأ تحليل مسكويه لقوى النفس الإنسانية وطريقة تهذيبها على معرفته بمكونات النفس وعطى ما عاده في أحكام مذهبهم هادئ من تهذيب نفسه ، فجاء مذهبهم جامعاً بين البحث النظري والتوجيه العملي .

كما أن من العلماء من استلهم بالمعهد الذي هادى به نفسه والوصية التي تسمى بوصية مسكويه على أن الأخلاق عنده لم تقتصر على الجانب النظري فقط وإنما مزجت وجمعت بين النظر والتطبيق العملي حيث نتجت عن خبرته العملية ، وسلوكه في الحياة عامة .

وهذه الوصية هذا فبحثون مذهبهم وتمتوره الأخلاقي الذي يبرز فيها مختلف آرائه ونظرياته الأخلاقية في سائر ما ألف وصنف ، ويقوم فيها دور هذه الفلسفة الأخلاقية ، ولهذا كانت من الأهمية بمكان لأنها ترسم لنا صورة الفيلسوف الأخلاقي كما يراه مسكويه ، كما نلمح بوضوح طابع مذهب في الأخلاق وسمات هذا المذهب الذي أراد به السعادة ولمن يبعثه جده بالأخذ به .

وقد راعى مسكويه في مذهب الأخلاقي والإصلاح شاملاً الصغير والكبير ، والخاصة والعامة ، وحاول في كتبه أن يثقف النفس مما هم فيه من تهيل في القيم وفساد في الأخلاق .

وفي كتابه تهذيب الأخلاق أشار إلى أهمية الفريضة وأصول قسرين في تربية الإنس وخاصة في أوائل عمره (تأديب الأحداث وربصة للصبيان) ، وحث الآباء على أن يأخذوا أبناءهم بالعتاب ذلك حتى تقوى نفوسهم على حب الخير ، وتسهل إلى حياة الفصيلة ، فالدين وتعاليمه في نظر مسكويه إذن خطوة مسامية لازمة للأخلاق وخصوصاً لطهارة الإنس وحداثته لأنه في هذا العهد لا ينفك ولا يجادل وإنما يسمع ويطيع .

وماهي نص وصيته (العهد) نور تدخل أو تخلق :

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه الله أحمد بن محمد وهو يومئذ أس في سريه ، معافى في جسده ، عده قوت يومه ، لا تدعوه إلى هذه المعاهدة ضرورة نص ولا ينز ، ولا يريد بها مرادة مخلوق ، ولا استجلاب منفعة ، ولا دفع مضرة منهم ، عاهده على أن يجاهد نفسه ، وينتقد أمره ، فبعض ، وبشجع ، ويحكم .

وعلمة عفته : أن يقتصد في ملوب بشه ، حتى لا يحمل له المشوه عل ما بضر جسده ، أو يهلك مروه .

وعلمة شجاعته : أن يحارب نواحي نفسه الدمية حتى لا تقهره شهوة غلبة ، ولا غضب في غير موضعه .

وعلمة حكمته : أن يستبصر في اعتقاده حتى لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة ، ليصلح أولاً نفسه ويهديها ، ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التي هي للعفة .

وعلى أن يتمسك بهذه التكررة ، ويجتهد في القيام بها ، والعمل بموجبها ، وهي خمسة عشر باباً :

إثبات الحق على الباطل في الاعتقادات ، والصدق على الكذب في الأقوال والسير على قسرين في الأعمال ، وكثيرة الجهاد الدائم ، لأجل الحرب الدائم بين المرء وبين نفسه ، والخمسك بالشرعية ، ولزوم وظائفها ، وحفظ المواعيد حتى يتجرها .

وأول ذلك ما بيني وبين الله (عز وجل) ، وقلة الثقة بالنفس بتركه الاسترسال ، ومحبة الجمول لأنه جميل لا لغير ذلك ، والصمت في أوقات حركات النفس



لتكلام حتى يمتلئ فيه العقل ، وحفظ الحال التي تحصل في شيء حتى تصير ملكة ولا يفسد بالانزسا وإقدام على ما كان صواب ، والإنشغال على الرمال الذي هو العمر ليستعمل في فهم نون غيره ، وترك التواني ، وترك الاكثرات لأقول أهل السر والحمد لتلا يشتغل بمقالتهم وترك الانفعال لهم ، وحسن احتمال نفسي والفكر والكرسة والهوان بجهة وجهة وبكر المرسى وقت الصبحة ، والفهم وقت المرور ، والرضا عند الفصيص ، يقول الطائي والبيهي ، ولواء الأمن وحسن الرجاء والثقة بالله (فقد) وصبر جميع الببال إليه ، فلا يمر الله تعالى بإصلاح نفسه بمجاهد عليه تكفر بحد بحد إلى إصلاح غيره ، وعلمة بذلك أنه لا يدخل على حد بتصبحة ولا يمنع أحد رتبة يستحق ، ولا يمتد نوب لأخبار بم يتبع له فإد اكتم الله به ذلك ورفع عنه العوائق وقموس ، وبلغه ما في نفسه من هذه الفصائل ليصير بي من أوتياؤه القانون ، وأنصاره القائلين ، وعبداء الأسير ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقد استجاب له بحمد إلى كل ما دعاه به ووثق بعد ذلك من جنته إلى كل ما وكله إلى جوده من رصطنه ما لا يحسن أن يرغب فيه ، وإعانتة مما لا يحسن أن يستعبد منه ، وهو حسبه وعليه بوكله ، ولا قوة إلا به ، وهذا آخر العهد ، وهو غني عن تزيطي ، ودلائلي على حسبه لظهور الحق عليه ، فس جعل هذه بنية سطره وعقيدة مره ووسيلة بينه وبين ربه فهو الفيضوف الحق المبرر المحقق ( ) هـ - ( )

ومن هذا العهد الذي قصته على نفسه تجلى من خلاله طبع مذهبه في الأخلاق وسمائه ، هذا المذهب الذي أراد به المصاعدة لنفسه وللمن يستعده جده بالأخذ والاكتهاد به ، والسير على مثاله .

وفي هذا يقول د أحمد أمين أن هذا العهد أو هذه الوصية التي أوصى بها من يأتي بعده بعد من غير الوصايا لأنها تدل على أنه كان حي الصبير بحاسب نفسه ويتمنى الخير والتهذيب من يأتي بعده ، وجرى فيها على وصية من بين سادة القمائل الحكيم وغير ذلك مما أثر من الحكماء ( ) .

( ١ ) راجع معجم الأنبياء بوقوت ج ٥ ص ١٧ - ١٩ ، والمقاصد لأبي حنبل  
النوحي ص ٣٢٣ - ٣٢٦ ، و ( فلسفة الأخلاق ) - فتحي الرشي ص ٥٨ - ٦٠ .

( ٢ ) ( ظهور الإسلام ) ج ٢ ص ١٧٩ .

ويقول : أحمد عبد الحميد الشاعر ينور مذهب غيلوسفا (مسكويه) في الإحلاق على السعادة فهي الحياة التي يهدف إليها من فلسفته فخلقه ، وقد ترك لنا صورة مجسدة لمذهبه وهي مثاقفة في ذلك العهد الذي أحده على نفسه عينا بينه وبين ربه تعالى .. ثم يقول : هذا هو عهد مسكويه وهو أصله تعبير وأوصح صورة مجسدة لمذهبه وفلسفته الأخلاقية وعظمنه وسلوكه في الحياة ، فهو دين لب فبعاد المذهب من معرفته بالنفس ومصادقته ، واقتضاه بمصانئها المختلفة واقتزم بالشرعية - الإسلامية - والعمل بها ، ورعاية الحرمات في الأفعال والأعمال والاعتقادات وكل ذلك عبادة بإصلاح النفس أولاً ، ثم بعد تمام إصلاح النفس يكون الانتقال إلى إصلاح الغير بحسن المعاشرة والنصيحة (١)

وفي كتاب السعادة يرمم طريق الخير للحاسة من النفس الذي تهترى بهم سبل الثقافة ورغد العيش وأوقات الفراغ ، فأحد ينصحهم بأنواع الفصائل النظرية والإقبال على شئ للمصرف العقلية ، وبذلك بالإصلاح على كتب الفلسفة والإفادة عنها سبباً لى بدء التفكير لا تعطلها لذة ، وبوحي نداء الفطن وشهواته التي ينصرف لئلا يفسر إليها عادة لهد سجد يصح تصحيحات دقيقة للعلوم على طريقة ومنهج أرسطو ويحدد أي للدراسات أجدى لى يبدأ بها ، والتمسك بالضرورة لإتقانها والتمسك على يسحبها الإنسان من إجابة التفكير وحسن النظر وغير ذلك من الأمور التي يستند إليها تصلح من حال الطبقة الخاصة وتجلطهم مثلاً صالحاً لى يفكرى به عامة الناس .

كما أنه في كتابه (تهذيب الأخلاق) نجده يحرص لأهم الفصائل التي يجب لى يأخذ بها الناس عامة في حياتهم الدنيوية ليكونوا قوماً فصيلاء تمشو بينهم العودة والصحة ، فمحدث عن أهميات الفصائل كالحكمة والشجاعة والعفة والعفة وما يتفرع عنها من فصائل ثانوية تهم الناس في دنياهم

وهو في هذا الكتاب يحرص عن غلا الناس من الرذائل وما هم فيه واقعيّاً من ضرور حتى يتطور للمصنع من برش الله ، ويصبح أعصاه كالقنبين بشد بعضه بعض لا كالنسب يحكي كل سهم على غيره ، لهد فهو يرى لى م الفصائل هي المحبة وهي العدالة الاجتماعية ، وإذا ماأنت بين عامة الناس فإنها

(١) (مدايح البحث الخلقى في تفكر الإسلامي) ص ٢١٦ - ٢١٨ بصرف بسير ط ١ دكر للطباعة المحمدية سنة ١٩٧٩م.

١ - د. يحيى عبد الحميد مستوفى مجازي

تتقد المجتمع من انتشار روح الفردية وطفان نزعة الأنانية ، فبعضها يقوم الإخاء بين الحاكم والمحكوم ، وللمساواة بين سائر الأفراد البشرية دون اعتبار لمولد أو ثروة أو جاه ويحرم الحياة في منيع كل فرد فيحترم ماله من حق وفي عليه من واجبات .

ومن ثم يحرص مسكويه في فلسفته الخلقية على أن يرسم منهجاً للإصلاح يشمل منهجاً يجعل الإنسان - الذي يلتزم منذ حداثة باسمه - إنساناً فاصلاً كاملاً يجمع بين الفضائل الخلقية ، والفضائل العقلية ، ويرسم المنهج لعلاج الإنسان المريض بالأمراض النفسية أو الخلقية ، فالنفس بها رذائلها وأمراضها كما أن الأجسام لها لمرضاتها وجراحها ، ومن مهمة رجل الأخلاق تحنيد دو النفس ورسم الطريق الصحيحة لعلاجها حتى تعود إليها الصحة ويحيى الإنسان حياة الفضيلة .

ويمثل التفكير الأخلاقي عند مسكويه دورة فكرية منسجمة بالرغم من أنه قرأ كثيراً وتأثر بأكثر من واحد من فلاسفة اليونان فلا في تأثره بهم كان هي فهم وإدراكه فترى يدرس الأخلاق التي يجب أن يؤنب بها الأحداث لتتأصل حياة الفضيلة في نفوسهم ويجمعوا قوماً بعد عن إدراك وإرادة ثم يتناول خلق الرجل العالم الذي يسعى وراء السعادة القصوى بعمله وفلسفته ثم يعرض لخلق الرجل العادي في دنياه الذي يسعى إلى السعادة الأخلاقية عن طريق الفضائل العقلية ، ثم يعرض بعد هذا إلى خلق الرجل الصالح كيف يمكن هدائه بإرشاده إلى أسباب صلاته ومروسته للتصلي حتى يعالجه ويشفي منه ويهود إلى صحته الأخلاقية (١) .

فلم يظهر مسكويه فيلسوف نظرياً بل قدر الظرفيات فحسب أو يكتب في الأخلاق ليسجل آراءه في نظريته فقط ، بل كان صلياً أيضاً حيث يكتب وهدفه الوصوي عملياً لتعود الأخلاق للفضيلة والخلق بها ، ومن ثم نراه يرسم الخطط ويعني بالتفصيل ليصل بقارئه إلى الهدف الذي يريد ، حيث كان يبحث في

(١) انظر (ابن مسكويه) د. عبد العزيز عرت من ٢٥٢ وراجع من ٧٥ - ٧٦ وراجع كتاب (الأخلاق) د. عبد المقصود عبد القوي من ٢٧٠ - ٢٧١ .

للمفضيلة وبيدها ويبحث في السعادة ويحدد ثم يتبع هداك وذلك يرسم الخطه التي تؤدي للظفر بهما (١)

وبدء على ما سلف ذكره يمكن القول بأن تفكير مسكويه الأخلاقي قد شمل الناحيتين النظرية والعملية

أما الجانب النظري فيبحث فيه عن الحق وطبيعته بين الموهبة والاكتساب ويبحث فيه عن المفضيلة وانواعها ، ويبحث فيه عن الخير الأكصى والسعادة وسماتها بعد أن يؤسس كل هذه المباحث على دراسة النص وكلاهما .

أما الجانب العملي فإنه يشمل على تأديب الأحداث وريضة الصبيان ومطب النفوس حيث ينقسم هذ الطب النفسي بدوره إلى قسمين أحدهما وقائي ، والاخر علاجي (٢) .

(١) (فلسفة الأخلاق) د. محمد يوسف موسى ص ٨ .

(٢) انظر لمزيد من الاستفادة في هذ الموضوع (فلسفة الأخلاق عند مسكويه) د. فتحي الزكي ص ٥٦ - ٦٤ .

المبحث الثالث

أسس المنهج الفلسفي الأخلاقي

والتربوي لدى مسكويه



## البحث الثالث

أسس المنهج الفلسفي الأخلاقي والتربوي لدى (مسكويه)

يعتمد (مسكويه) في إجلاله لفلسفته الأخلاقية وتربوية على الاستفراء العقلي والتجربة الإنسانية فقد تأثر تأثراً بالغاً في درسته للمجال الأخلاقي بما كل يدور في حياته العامة وما تطوى عليه عصره الذي عاش فيه من فساد وتحلل وما ساءه من ظراف وتدهور في الأخلاق بين العامة والخاصة ، فضلاً عن واقع تجاربه الذاتية والنفسية وما وقع منه من استغراق في المذلات والسعي وراء شهوات فهو من كتبه ووقع تجربته الشخصية ثم واقع أحوال الناس من حوله ، فقد عني بالنفس الإنسانية ودرس طبيعتها وأغوارها وكوامنها والبراعث المحركة بها وجهتها وغايتها في الحياة سعده على ذلك كله فكره وثقافته وحدة ذهنه وصفاء نفسه وصديق تجربته وسعة إطلاعه .

وفي هذا يقول د. أحمد عبد الحميد الشاذلي مبدئاً منهجه الأخلاقي (١) وفي مسيرته مع الفلسفة في منهجه الأخلاقي نجده قد سار في هذه الخطوات .

أولاً : البحث في أغوار النفس الإنسانية وفقرها فهذه نقطة البدء والانطلاق عنده .  
ثانياً : البحث في الخلق ومقاييسه وإمكانية تغييره وكيفية صدور الفضائل عن النفس الإنسانية .

ثالثاً : تحديد ماهية الخير عند الإنسان وتعيين الخاية التي يقصد إليها ويرى فيها سعادته الكاملة وسامعه العظمى يجب أن تحدد ماهية الإنسان وما امتاز به على سائر الموجودات وصولاً لمهية الخير والسعادة ومراتبها كلها عند الإنسان وغيره .

رابعاً : طبيعة إنسان وتميزه عن سائر الموجودات بأنه معبر لخلق به غاية سامية هي القدوة بصفات جميع الموجودات .

خامساً : بيان الحكمة الصاعلة وحكمة الطبيعة والإنسان والنفس والقدرة البشرية والكمال الإنساني ، وحكمة الفروع في اختلاف السماعات .

(١) (مناهج البحث الحلقى في الفكر الإسلامي) ص ٢١٩ ، ٢٢٠ بتصرف

صاحباً : كم هم بصيرة السيرة بالجوانب التربوية في حياة الإنسان في كافة أحواله ومرحلته نموّه ثم أبرز أنواع التربية ولعل من أهمها التربية النفسية ، والتربية الاجتماعية ، والتربية الصحية ، وعنى رعاية خاصة بالصحة النفسية (الطب النفسي الوقائي ، الطب النفسي العلاجي) وموضح ذلك جلياً من خلال عرضنا لأهم وأبرز الجوانب التربوية والأخلاقية وبطريقه للنص وفواهاً والخلق والفضيلة والخير والسعادة من هذه الدراسة وذلك من خلال عرضنا للعلاج مع ألف وحسنه .

ومن طبع هذا المنهج الفلسفي الأخلاقي لدى مسكويه وأهم سماته وخصائصه يجدر بي أن أسجل في بيان هذا ما ذهب إليه استاذ فيكتور / أحمد عبد الحميد الشاعر فهو في كتابه (مناهج للبحث الحثي في الفكر الإسلامي) (١) :

أولاً تعتبر الدرجة العلمية في الطبع لعدم في فلسفة مسكويه التربوية والأخلاقية مذهب ومنهجاً ، وهي منطلق أفكاره في سائر ما ألف وصنف ، ومنظمة في جميع جزئياته ، ويرجع ذلك إلى سمة إصلاحيه وسرعة دينيته ورجاحة عقله ، وتنوع ثقافته ، وتأثره بشئى الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية والعربية والدينية الإسلامية .

يصاف إلى هذا ما كان سائداً في عصره من عوجة الفصل بين الفلسفة والدين ، إلا أن (مسكويه) في فلسفته الأخلاقية التربوية حاول أن يفهم مذهب ومنهجه على أساس مزج للفلسفة بالدين ، إلا أن استشهاده الدينية التي لها في مؤلفاته ونتائج الفكر كانت بادرة وبمسيرة بالإضافة إلى تأثره بما سلف من فلسفات غلبت عليه الدرجة الفلسفية على الدرجة الدينية مما دفع أحد الباحثين (ديبور) إلى القول بأنه (لم يفلح في التوفيق بين النظريتين اليونانية وبين أحكام الشريعة الإسلامية) (٢) ، ومع ذلك لا ينحرف عن الدين ولم يشذ عن عقيدته كما رماه الباحثين على نحو ما هو جلي في هذه الدراسة

ثانياً - ومن خصائص منهج (مسكويه) في فلسفته الأخلاقية والتربوية أنه ارتكز على الاستقراء الحثي وحى رعاية بالغة بشئى أحوال الناس في سلوكهم

(١) انظر إليه ص ٢٧٠ - ٢٧٤ ينصرف لمزيد من الاستفادة .

(٢) (تاريخ للفلسفة في الإسلام) ص ٢٤٣ .



واسلوب حياتهم والتعرف على وجهاتهم وغاياتهم التي يبتغونها واضعاً يده على كافة الوسائل والأساليب التي يملكونها .

ثالثاً : ومن سمات مذهب (مسكويه) ومنهجه في فلسفته الأخلاقية والتربوية أنه ارتكز على المشاهدة والتجربة ، فما جاء في مؤلفاته من نظريات أخلاقية وتربوية صدر عن مشاهدة لواقع عصره وتأثره به فضلاً عن تجاربه الذاتية التي مر بها في أطوار حياته ، ولانحصار التجارب الإنسانية ومشاهداته الحية لها .

فكتبه (تجارب الأمم) فهو وإن كان يعنى بالدراسات التاريخية إلا أنه يهدف إلى عرض أخلاقي كما يدل عليه اسمه ولغذ العبر والدروس من سير الأمم ليستير المعقبون ويتذكر لولو الألباب كما صرح في كتابه (١) .

ولما كتبه (جاويزان خرد) أي العقل الأزلي فقد عني فيه بجمع حكم العرب والفرس والهند واليونان أعظم الأمم في عصره ، وما هذه الحكم والأمثال إلا صور تعكس تجارب الإنسانية والفلسفات الشعبية وتلصح عن أخلاقيات هذه الأمم واتجاهاتها ووجهتها في واقع الحياة .

رابعاً : ومن ملامح مذهبه ومنهجه التربوي والأخلاقي - أيضاً - أنه ارتكز على الدراسة النفسية لطبيعة من حوله من الناس ، مستهلاً ذلك بالتعرف على طبيعة النفس وفرواها وكيفية صدور الفضائل عنها ثم اهتمامه بمراعاة الجوانب التربوية والأخلاقية والسحية معتمداً في هذه الركيزة النفسية على ذهائمين : الأولى : الجانب النظري ، والثانية : الجانب العملي ، فمزج في مذهبه ومنهجه الأخلاقي والتربوي بين النظرية والتطبيق ، ثم هو في الجانب العملي اهتم بالجانب الوقائي والعلاجي لطب النفوس وتربية الأحداث ورياضة الصبيان ، ثم تربية النفس الإنسانية على وجه قصوم ، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن مسكويه كان طبيباً نفسياً لأصالة معرفته بأغوار النفس وكوامنها وخفاياها .

خامساً : ارتكز (مسكويه) في مذهبه ومنهجه الأخلاقي والتربوي على النزعة الأرستقراطية ، فتفكره لم يوضع للعوام إلا في رسائله (تأليب الأحداث

وربما ضاع الصبيان) وإنما للخواص وإلا في ما يقال : إن نظرياته وضعت للعلمة وللخاصة وإن طغت عليه نزعة الخواص الأرستقراطية ومحبي الفلسفة والفلسف .

سادساً : ومن طابع مذهب ومنهج (مسكويه) في فلسفته التربوية والأخلاقية الجمع بين الفلسفتين النظرية والعملية ، فهو لم يقف بمنهجه عند حد أي من الفلسفتين فحسب وإنما جمع بينهما لأنهما طريقا للسعادة للقصى عنده ، والأولى : واضحة في مباحثه عن الخير والسعادة ومرافقها وطرق الحصول عليها ، والثانية : واضحة في نظرياته عن الفضيلة والفضائل وتهذيب النفس وحفظ صحتها وكيفية علاجها .

سابعاً : ومن خصائص مذهب ومنهجه أيضاً أنه اعتمد على الفكرة الغائية وصولاً إلى تحقيق الغاية التي خلق لها الإنسان وكماله سعائه ومبني هذا عنده (فكرة الغائية) في الموجودات ، فكل موجود كمال بخصه ، والإنسان من بين الموجودات خص بأشرف الأشياء التي لا يشاركه فيها غيره .

ثامناً : وتعد فكرة قوسطية من السمات العامة التي امتاز بها مذهب ومنهج مسكويه في فلسفته التربوية والأخلاقية ، والوسط عنده ميزان للفضيلة وبه يتحقق ، وكلما ابتعد الإنسان عن الوسط الأخلاقي كلما كانت الرذيلة أشد قبحاً وأضلم جرمياً .

تاسعاً : كما اهتم في مذهب ومنهجه بالمقاييس الأخلاقية وصولاً إلى الكمال الإنساني ، بمقدار ما يتحقق للإنسان من الكمال الذي هو غاية بقدر ما تحقق إنسانيته وتعظم سمائه .

هائماً : كما أن مسكويه فيلسوف عقلي بمنح العقل سلطة مطلقة في التعرف على الخير والشر والحكم عليهما إلا أنه استشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومزج بين الفلسفة والدين ومزج شتى نظرياته بما تأثر به من غمقات وصبغة بصيغته الخاصة فهو ينتخب من الآراء ما يتسق مع فكره

ويتصاوق مع مذهبه ، ولهذا يقول ديبور : (خلف مسكويه مذهباً فلسفياً في الأخلاق لا يزال له شأن في الشرق كله إلى يومنا هذا) (١) .

ومن ثم يعد مذهبه وطابعه التربوي والأخلاقي مثلاً يحتذى به رواد الفكر في ميادين العلوم الإنسانية على اختلافها ولا سيما في الميدان الفلسفي والتربوي والأخلاقي والنفسى .

(١) (تاريخ الفلسفة في الإسلام) ص ٢٣٩ .

The first part of the paper discusses the  
 importance of the study and the  
 objectives of the research. The second part  
 describes the methodology used in the study.  
 The third part presents the results of the study.  
 The fourth part discusses the implications of the study.  
 The fifth part concludes the paper.